بئر ثينين

وقفتُ على سؤال لأحد فضلاء السلط في مقتطف هذا الشهر عن بئر ثينين التي حفرها الوليد بن عبد الملك بمكة وأمر الناس أن يستبدلوها بزمزم كما رآه في تاريخ تركيّ وعلى جواب المقتطف الأغرّ بعدم عثوره على هذه الكلمة ولا على بئر حفرها الوليد بمكة

والظاهر أنّ الصواب (بئر الثَنِيَّة) أو (بئر التنيّتين) وهو الأقرب سمّاها بذلك المؤرّخ التركيّ أو من نقل عنه لأنّ الوليد حفرها بين ثنيّة ذي طُوَى وثنيّة الحجُون فحرّفها الناسخ أو الطابع بثينين . وخبر هذه البئر مذكور في الأغاني (١٩ : ٦٠ بولاق) وفي كامل ابن الأثير (٤ : ٢٢٠ بولاق) وخلاصة مافيها أنّ خالد بن عبد الله القسريّ عامل الوليد على مكةَ خطب أهلها فقال :

أيّها الناس أيّما أعظم خليفة الرجل على أهله أو رسوله اليهم ألاَ إنّ ابراهيم خليل الرحمن استسقاه فسقاه ملحاً أجاجاً واستسقاه أمير المؤمنين فسقاه عذباً فراتاً . يعني بالملح زمزم وبالماء الفرات بئراً حفرها الوليد بين ثنيّة ذي طوى وثنيّة الحجون وكان ماؤها عذباً فكان خالد ينقل ماءها فيوضع في حوض الى جنب زمزم ليرى الناس فضلها . انتهى

وإنا لنربأ بمثل هذا الخليفة العربيّ الكريم عن أن يكون أراد ذلك وانّما هي من فعلات خالد وأمر هذا الرجل مشهور في رقّة الدين أمّا الوليد فلم يقصد بحفر هذه البئر إلاّ التيسير على الناس كما فعلت بعد ذلك أمّ جعفر زبيدة في العين المنسوبة اليها

وروى اليعقوبيّ في تاريخه (٢ : ٣٥١ ليدن) خبراً يشبه هذا إلاّ أنّه أسنده لسليمان بن عبد الملك لا الوليد فقال :

« وأراد سليمان الحج فكتب الى خالد بن عبد الله وهو عامل مكة يأمره أن يجري له عيناً تخرج من النقبة من الماء العذب حتى تظهر بين زمزم والركن الأسود يباهي بها زمزم فعمل خالد البركة التي بفم النقبة يقال لها بركة القسري وهي قائمة إلى اليوم في أصل ثبير عملها بحجارة منقوشة واستنبط ماءها من ذلك الموضع ثم شق من هذه البركة عيناً تجري الى المسجد الحرام في قصب من رصاص حتى أظهرها في فوارة تسكب في فسقية رخام بين الركن وزمزم فلما جرت وظهر ماؤها أمر خالد بجزر فنحرت بمكة وقسمت بين الناس وعمل طعاماً فدعا عليه الناس ثم أمر صائحاً فصاح الصلاة جامعة ثم صعد المنبر فقال « أيها الناس احمدوا الله وادعوا لأمير المؤمنين الذي سقاكم العذب بعد الملح الأجاج الذي لا يطاق شربه » يعني زمزم وكان لا يجتمع على ذلك الماء اثنان وكانوا على شرب زمزم أكثر ما كانوا فلما رأى خالد ذلك قام خطيباً فنال من أهل مكة وكلمهم بكلام قبيح يعنفهم فيه على تركهم شرب ذلك الماء واقبالهم على زمزم. ولم تزل تلك الفسقية على حالها أيام بني امية فلما صار الأمر الى بني هاشم هدمها داوود بن علي أول ما قدم مكة »

ولعل المراد بنقبة بالتحريك جبل بمكة بين حراء وثبير تحته مزارع ذكره ياقوت في معجم البلدان. ولم يذكر ياقوت بركة القسري فيما ذكره من البرك بل ذكرها عرضاً في كلامه على واسط أحد جبال مكة ولم يتكلم عليها. وانا لنربأ بسليمان أيضاً عن هذا القصد وما أراد فيما نرى الا الخير الذي أراده الوليد فأوله المؤرخون بعكسه وأعانهم فيه خالد بحماقته، ولا نقصد بذلك ادعاء العصمة لخلفاء بني أمية وتنزيههم عن العيوب ولكنا نستبعد على الوليد وسليمان وهما من هما في الدين والحزم مثل هذه السخافة المنبئة بسوء المعتقد المنفرة للقلوب العارية عما يعود بفائدة على الملك

وكم شوّه مؤرّخو العصر العباسيّ محاسن بني أميّة وعظّموا صغائرهم وكم أوّلوا مقاصدهم بما يحكم العقل ببطلانه كزعم بعضهم أنّ عبد الملك بن مروان لم يبن قبّة الصخرة الاّ ليحوّل الحجّ الى بيت المقدس وفاتهم أنّ مثل هذا العمل وفيه هدم ركن من أركان الاسلام الخمسة غير مستطاع والدين في عنفوانه والناس قريبو عهد بعصر النبوّة وسيرة الخلفاء الراشدين مهما أوتي فاعله من دهاء وحيلة واجتمعت له الكلمة بلا منازع . فكيف يحاوله عبد الملك اللبيب الحازم في وقت يناوئه فيه مثل ابن الزبير وهو لم ينفض يده بعد من المتألبين عليه ولم يستوثق من أمره كلّ الاستيثاق هذا اذا أغضينا عمّا كان عليه من الدين والعلم به حتى عُدّ في فقهاء المدينة الأربعة مع سعيد بن المسيّب وعروة بن الزبير وقبيصة بن ذؤيب . وانّما منع عبد الملك أهل الشام من الحجّ منعاً وقتيّاً لأنّ ابن الزبير كان يُلزم من يحج ببيعته فلمّا رأى ضجرهم وضجيجهم شرع في بناء القبّة ليشغلهم بها لا ليحوّل الحجّ اليها فأشاع عنه ابن الزبير هذه الفرية للتشنيع عليه وتلقّفها عنه المؤرّخون وصدّقها من لا يزن الأخبار بميار النقد . على أنّه لم يستبد في البناء برأيه بل استشار فيه رعيّته فكتب الى الأمصار يقول « إنّ عبد الملك قد أراد أن يبني قبّة على صخرة بيت المقدس تقي المسلمين من الحر والبرد وأن يبني المسجد وكره أن يفعل ذلك دون رأي رعيّته فليكتب الرعيّة اليه برأيهم وما هم عليه » فوردت كتبهم اليه بأنّا نرى رأي أمير المؤمنين موفّقاً رشيداً ان شاء الله نسأل الله أن يتمّم له ما نوى من بناء بيته وصخرته ومسجده ويجري ذلك على يديه ويجعله مكرُمة له ولمن مضى من سلفه

أحمد تيمور

﴿ الزهراء ﴾ — وقد عيّن أبو الوليد الازرقي في تاريخ مكة (ص ٤٢٧ — ٤٢٨ ليبسيك) موضع هذه البئر فقال « كانت طريق النبي صلى الله عليه وسلم

من حِراء الى ثَور في شِعب الرَّخم على الثنية التي تخرج من بئر خالد بن عبد الله القسري التي بين مأزمي مِنَى يقال لها القسرية وهي الثنية التي على يسار الذاهب الى مني من مكة »

وقال (في ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠) : « فعمل خالد البركة التي بفم النقبة يقال لها بركة القسري ويقال لها أيضاً بركة البَرْدَى ببئر ميمون ... وبنى سَدَّ النقبة وأحكمه . والنقبة شِعب يفرغ فيه وجه ثبير » وقال « ثم تفرغ تلك الفسقية في سرب من رصاص يخرج الى وضوء كان عند باب الصفا في بركة كانت في السوق» . ثم قال في بيان ما آلت اليه بعد أن هدمها داود بن علي « وصرف العين الى بركة كانت بباب المسجد »

وروى (في ص ٣٧٠ ـ ٣٧١) عن ابن جريج أن انساناً سأل عطاء وابنُ جريج حاضر عن حيتان بركة القسري ـ وهي بركة عظيمة في الحرم بأصل ثبير ـ فقال عطاء : نعم والله لوددت أن عندنا منها

وأشار أبو الطيب الفاسي في شفاء الغرام (ص ١٧٢ ليبسيك) الى بئر خالد ثم نقل ماحكي عنه من تفضيلها على زمزم وتفضيل الخليفة وقال « وقيل ان ذلك لا يصحّ عنه »

الحِذْق في الغِناء

سألَ بِشْرٌ إسحاقَ بن ابراهيم الموصلي :

— مَنِ الحاذقُ في القول (يعني في الغِناء) ؟

فقال : — من تمكَّنَ من أنفاسه ، وتفرَّغ في إحباسه ، ولطفَ في اختلاسه

عن (اللمع) في التصوف
لأبي نصر السرّاج (ص ٢٧١)